بسم الله الرحمن الرحيم

# دَعْوَى آراميةِ القُرآنِ .. في مَحكمةِ الأَلْسُن

## (معاني الحروف المقطعة)

**حدثني صاحبي قال**: نادى منادٍ يوماً وهو قائم على ظهر سفينته أنْ هلموا أُرِكم اليومَ عَجباً! تبذُّون به مَن سلفكم، وتفهمون به ما خفي من كلام ربكم. فأقبل الناس إليه عَجلى لا يلوون على أَحد. حتى إذا استووا على ظهر السفينة، ومخرت بهم عُباب اليَمّ، قال لهم: إن مراد ربكم لا يُفهم على وجهِهِ إلا بفهم لسان بني إِرَم! فلما سمعوا مقالته نظر بعضهم إلى بعض، وحاصوا يبتغون العودة. فلما هموا بالكلام قال مشترطاً: "لا يحدثْني اليومَ إلا عارفٌ بالآرامية حتى لا يُضيع وقتي، ولا أضيع وقته"، فصار يُعرف بـ«**مُشترِط الآرامية**». وكان الناس منه على أصناف: صنف رضي بما قال لعَدَم الآلة، وآثر البقاء على متن السفينة، بعد أن توسطت بهم من الحيرةِ لُجَجاً. وصنف أدرك الخطر وأيقن بالهلَكة، فرد ما قال صاحب الفُلك بعلمٍ وعدلٍ، وبرهانٍ وإنصاف. لكنه لم يؤبه له، إذ لم يكن عالماً بتلك اللغة الميتة التي قلَّبتها صروف الدهر ظهراً لبطن، لكنها شرط البقاء الوحيد. لذا آثر هؤلاء حَلَّ أقرُب النجاة وعادوا برغم اغتلام البحر إلى ديار آبائهم سالمين. وبقي صنف ثالث مستوفٍ لشرط البقاء الذي اشترطه صاحب الفُلك، لكنه لم ينبس ببنت شفه، حتى اختلج في نفوس من معهم: أهؤلاء أحياء فيُرجَون أم أموات فيُنعون؟ وبات الناس يدوكون ليلتهم.

فلما نظرت إلى حالي أدركت ألا نجاة من الهلاك إلا بالحراك. فتعلقت بحبل السفينة أهوي إلى قارب النجاة أبتغي السلامة. فكنت إذا نظرت إلى الموج الهادر ترددت، فكنت إذا نظرت إلى أعلى

أشفقت على من رضي بالبقاء لأنه لم يعلم، وعجبت لمن علِم فلم يتكلم، وخُيل لي أن السفينة تتجه إلى الحتف. فظللت معلقاً على جانب السفينة بحبل الأمل، أنظر مرة إلى أعلى ومرة إلى أسفل.

ثم إني استعنت بالله وعزمت على أن أصعد على ظهر الفلك ثانية لـمّا سمعت «مشترط الآرامية» يقول: رضيت بنقاش "علمي لغوي" مجرد، "وكونوا على يقين أنني لن أستحيي من أن أقول للجميع: «أنا أخطأت في هذه أو تلك» إذا تبين الخطأ، ولا أعتبرها معيبة أو منقصة." فأكبرت ذلك منه رغم تعجله في أصل الأمر، وعلمت أن المسألة لم تحسم بعد، وأن توجيه المركب إلى بر الأمان غير بعيد. أ. هـ.

ثم إن صاحبي أصر على أن أعلق على ما ادعى «المشترط»، فكان هذا الذي بين يديك.

## «معاني الحروف المقطعة في القرآن الكريم بالآرامية»

- **الـم:**

تحدث «مُشترطُ الآراميةِ» عن الحروف المقطعة في رسائل صوتية قصيرة جمعها تحت عنوان «**معاني الحروف المتقطعة** [هكذا] **في القرآن الكريم بالآرامية**». وكان مما قال: إن الحروف المقطعة "تحمل معانٍ آراميةً واضحة جداً"[1]، وأن هذه المعاني الواضحة جداً سرعان ما لفتت ناظريه دون تكلف لمّا شرع في دراسة الآرامية.

لكن «مشترط الآرامية» في مقطعه هذا آثر الاكتفاء بمثال واحد على مقولته حتى لا يصدم المُشاهد بـ"صواعق" متتالية. هذا المثال هو قوله جل وعلا في مطلع سورة البقرة وفي مواضع أخر: (**الـم**).

**قال «المشترط»**: إن (**الـم**) بالآرامية هي (أَلِف – لامِد – ميم).

وكنت أظنه سيلفظها على الطريقة الآرامية أو ابنتها السُّريانية هكذا (**آلَف – لامَذ – ميم**) إذ لسنا في معرض الحديث عن العبرانية هنا. لكنها مسألة يسيرة سأتجاوزها على كل حال.

**قال «المشترط»**: لو نطقتَ هذه الأحرف الآرامية ككلمةٍ واحدة تصبح (**اَلِـمْ**)، وهذه كلمة ذات معني في الآرامية. وقد وردَت في سِفر [أي كتاب] المزامير (The Psalms of David) على لسان (**مِلِخ داڤيد**) – الصواب (**هَـمِّلِخ داڤيد**) – أو الملك داود عليه السلام.

**قلت**: أي علاقة لسفر المزامير المسطورِ بالعبرانية بما تريد أن تثبته من أن (**الـم**) آرامية الأصل؟

---

[1] أعدت صياغة كلام المشترط بالعربية الفصيحة لعدم قبول العامية في محكمة الألسن.

**قال المشترط غير مكترث**: وهنا **الذي لفتني** أن ثمةَ آيةً من آيات الزبور [أو المزامير] قال فيها الملك داود عليه السلام: (**اَلِـمْ! شـْمَعو مَه أني أومير لْكُم**). و"حتى يصل المعنى بشكل دقيق ويستيقن كلُّ واحد يسمع هذا الكلام صحته لغوياً" كتب المشترط على السبورة (**אלם**) ثم ضبطها بالشكل هكذا (**אִלֵּם**) [مع التباس الحركة الأخيرة عندي]. ثم كتب كلام الملك داود عليه السلام في المزامير على هذا النحو (**שמעו מה אני אומר לכם**) وقرأه بالعبرانية: (**شـْمَعُو مَه أني أومير لْكُم**). ثم قال: (**اَلِـمْ**) معناها: صَه! أو صمتاً! أو إنصات! وهذا الذي صنعه الملك داود عليه السلام؛ إذ لَـما وردت كلمة (**اَلِـمْ**) في المزامير كان القصد منها: "**صَمتاً! اسمعوا ما أقول لكم**."

**ولي مع ما قال وقفات:**

**أولاً**: كلمة (**אִלֵּם**) كما ضبَطَها لا تُقرأ (**اَلِـمْ**) وإنما (**آلَـمِي**) بياءٍ مُمالة. فهل هذه هي الطريقة الصحيحة لقراءتها في أول سورة البقرة؟

**ثانياً**: بدا الاقتباس العبراني قريباً جداً من الجرْس العربي، ومرَدُّ ذلك إلى أنه قرأ كلمة (**שמעו**) بسكونٍ ثم فتحةٍ هكذا (**شْـمَعُو**)؛ والصواب أن تُقرأ (**شِـمْعُو**) بالكسر، لأنها فعل ثلاثي بسيط جاء بصيغة الأمر، فتُكسر فاؤه بحركة «حيريق» (**שִׁ**) وتلفظ (**شِ**). وأما (**לכם**) فقرأها بنحوٍ من العربية هكذا (**لْـكُم**)، والصواب أن تلفظ (**لَـخِم**) بالخاء لا بالكاف، لأنها جاءت في وسط الكلمة ولم يسبقها سكونٌ تام. لكن هذا كله لا يعنيني كثيراً، ولن أُثَرِّب فيه على المشترط، فضبْط قواعد النطق العبراني تتطلب مِراساً.

**ثالثاً**: ما يعنيني هنا هو قول «مشترط الآرامية» إنَّ الذي **لفت ناظريه** هو الفقرة التي نقلها لنا من سِفر مزامير داود، وهي قوله عليه السلام: (**אלם שמעו מה אני אומר לכם**) وتعني – كما

ترجمها – (**صمتاً! اسمعوا ما أقول لكم**). **وأقول له:** إن هذا النص برُمَّته ليس له آثرٌ في سفر المزامير؛ بل ليس في سِفرٍ من أسفار ما يسمى «الكتاب المقدس» (The Holy Bible) **البتة**. وليس في بنائه اللغوي ما يوحي بأنه نصٌّ في العهد القديم، فقل لي بربك من أين جاء؟

لقد وردت الكلمة العبرانية (**אלם**) (**الـم**) في «الكتاب المقدس» مجردة (دون لواحق) في عشرة مواضع:

- ستةٍ منها بهذه الصورة (**אֻלָם**) (**أُولام**)، وتعنى "الرِّواق" أو "السقيفة".
- ومرتين بهذه الصورة (**אִלֵּם**) (**إِلّيم**) بياء مُمالة، وتعني "الأخرس" أو "العاجز عن الكلام" وسيأتي الحديث عنها لتعلقها بمسألتنا.
- ومرتين بهذه الصورة (**אֵלֶם**) (**إيلِم**) بياء ممالة أيضاً؛ واختُلف في معناها بين ما سبق من معنى الخرس وبين أن تكون عَلماً على شخص بعينه.

## فأين منشأ الخلط عند المشترط؟

إن المشترط – كما يقر بنفسه – ليس أولَ من ذهب إلى أن الآرامية يمكن – بزعمه – أن تفسر كتاب الله العربي المبين بشكل "أفضل". فقد سبقه إلى ذلك مستشرقون غربيون من أمثال نولدكه وكريستوف لوكسمبورج ومِنغانا وغيرهم. أما مِن العرب فقط أطل برأسه مؤخراً بروفيسور لبناني أمريكي نصراني يدعى «**غَبريال صوما**»، صنف كتاباً في آرامية القرآن الكريم لو قرأه سيبويه لانفطرَت خاصرته ضحكاً. وقد أجرت معه إحدى القنوات حواراً حول موضوع الكتاب، فكان

مما سئل عنه (عند الدقيقة ٣٥:٥٧) تفسيرُ (الـم) في أول سورة البقرة، فقال مشيراً إلى كتابه: "أنا أشرت هنا إلى موضع «الـم» في الكتاب المقدس"[٢] وهذه إشارته:

In the Book of Psalms, Bibl. Heb. "**alm**" means 'be silent' (Psa. 58: 2), "**alm**" dumb (Isa. 53: 7).

ثم أضاف: "وقد قرأتُ للعلماء الباحثين في هذا الموضوع، فوجدت منهم من يقول: إن معنى «**الـم**» هو (**إِمَر لي مُريو**) أي (قال لي الرب). ولكن كباحثٍ في اللغات السامية لا أشجع طلابي إن وجدوا مخطوطة أن يضيفوا عليها حرفاً أو ينزعوا منها حرفاً... «**الـم**» هي كلمة كتابية (Biblical) معناها "صمت". ... إذا نظرت في كتابَـيْ المزامير وإشَعْياء وقرأتها بالعبرية الكتابية (*Biblia Hebraica*) ... وجدت كلمة «**اَلَـم**». و«**اَلَـم**» معناها «صمت». عندما يُشرع في القداس يصعد الكاهن فيقول: (Please! Stop!) بمعنى: هل يمكن أن تنصتوا؟ لأننا سنشرع في القداس. وفي هذه الآية القرآنية عندما يصعد الإمام ويقول بأننا سنشرع في قراءة القرآن الكريم، يقول: اَلَـمْ! أي: صمت! (Please! Silence!)".

قارن (بالألوان) بين ما قال صوما وبين قول المشترط:

"بعض المستشرقين أضافوا إلى «الـم» بعض الحروف حتى يصل إلى معنى يقال في القداس في كثير من الكنائس وهو (آمِر لي إمْرِيُو). و(آمر لي إمريو) هي اختصار يقال في بعض القُداسات في كنائس النصارى ومعناه: (قال الرب لي). لكنني لما سألت البروفيسور النصراني الذي كان يدرسنا:

[٢] البروفيسور «غبريال صوما» لا يكاد يفصح عن مراده بالعربية، فوجدتني مضطراً إلى "تعريب" كلامه.

(**امر لي امريو**) هل هي جذور «**الـم**»؟ قال: لا، فيها إضافات. ... **(اَلِـمْ)** معناها: صَه! أو صمتاً! أو إنصات!"

فالمشترط هنا يشير صراحة إلى تعلُّمه الآرامية على يد أستاذٍ "نصراني". وهذا الأستاذ النصراني يقول لتلاميذه إن (**إِمَر لي مُريُو**) فيها إضافة على أصل كلمة «**الـم**» وأنه لا يحبذ ذلك، وهو الكلام عينه الذي قاله «غبريال صوما» في حواره.

ورأيي – والله أعلم – أن "البروفسور النصراني" ليس إلا «غبريال صوما»، وأنه مصدر المشترط في بعض تفسيراته على الأقل. لكن المشترط لم يكن دقيقاً في نقله **فاختلطت عليه أمور منها**:

**أولاً**: سمع المشترِط عبارة (**إِمَر لي مُريُو**) الآرامية فنقلها دون تثبتٍ هكذا: (**آمِر لي إمْرِيُو**) وهو خطأ.

**ثانياً**: اضطُر إلى تفسير (**اَلَـم**) – التي قرأها (**اَلِـم**) – بعبرانية «الكتاب المقدس» لا الآرامية التي اشترطها على نفسه، لأن هذا ما صنعه «صوما».

**ثالثاً**: اختلط على المشترط حديث البروفيسور عن عبارة (**إِمَر لي مُريُو**) مع حديثه عن ابتداء القداس بطلب الصمت، فظن أن عبارة (**إِمَر لي مُريُو**) تقال في قداسات بعض الكنائس.

**أخيراً**: اختلط على المشترط حديث البروفيسور النصراني عن صعود الكاهن على المنصة وكذا صعود الإمام – كما زعم – على المنبر وطلبه الصمت قبل قراءة القرآن، اختلط هذا بحديثه عن سفر مزامير داود عليه السلام وأنها تحوي كلمة (**اَلَـم**)، فظن أن الذي يصعد ويخاطِب الملأ بقوله (صمتاً) هو داود عليه السلام. والحقيقة أن هذا النص لا وجود له في سفر المزامير، بل ليس في «الكتاب

المقدس» أصلاً، كما سبق بيانه. لكنني لم أجد بعدُ تفسيراً لإضافته عبارة (**شـمْعُو مَه أني أومير لْكُم**) إلا اختلاطها بنص محفوظٍ لديه.

ثم إن المشترط أنهى حديثه في مقطوعته بقوله: ما زلت أبحث في (**الر**) و(**كهيعص**)، عندي فيها استنتاجات لكنها ليست كاملة. **سأسأل عنها المختصين في الآرامية حتى يساعدونني فيها**. فهل كان «غبريال صوما» واحداً من هؤلاء؟

## «المعنى السرياني لـ (الـم)، (الر)، (طه)، (كهيعص)»

تحت هذا العنوان وفي عرضٍ أكثر حيوية رد «مشترط الآرامية» على من شكك في هُويّته الدينية، ووعد بأنه إن مكَّن الله له وأتقن الآرامية بلهجتيها الشرقية والغربية، سينصرف إلى "الحِميَري وباقي اللغات"، ويعني بها اللغات العربية الجنوبية القديمة التي تعرف بالصيهدية كالسبئية والمعينية.

**ثم قال المشترط**: إذا تدبرنا كتاب الله عز وجل سنجد أنه "**مُتخَمٌ بالكلمات والجمل العربية ذات الأصول الآرامية.**" ووعد بأنه سيبين ذلك "**بشكل لغوي وعلمي**". ثم أثنى على أولئك الذين نقلوا ما قال إلى أساتذة يجيدون الآرامية فقالوا لهم: "كلامك صح!" وحض على أن يُصنع هذا بهذا المقطع أيضاً.

**قلت**: عبارة "متخم" لا ينبغي أن تقال عن كتاب الله عز وجل، وهي مع ذلك أبعد ما تكون عن وصف الحقيقة كما سأبين إن شاء الله. وسأحاول بيان ذلك "**بشكل لغوي وعلمي**" كما اشترط هو على نفسه. ولعله يعرض الكلام على أساتذة الآرامية ليخبرونا أيُّنا أسعد بالصواب.

- **الـم** (تتمة):

يعود المشترط في هذا العرض إلى تفسير (**الـم**) التي لم يُتمّ الحديث عنها. هذه المرة سيذكر لنا معنى الكلمة، ثم يرينا طريقة كتابتها، ثم يوثق ذلك بالبحث عن الكلمة في معجم إلكتروني على شبكة الإنترنت ليرى المشاهدُ بأم عينيه صدق ما يقول. "أَعرفُ أنها صدمة! بس تحملوا!" على حد قوله.

يكتب المشترط الكلمة (אלם) (الـم) على السبورة. ثم ينتقل إلى المعجم الإلكتروني فيكتب الكلمة في محرك البحث لتظهر لنا المعاني التالية:




אלם

Random Term Recent Translations

Translate

English translation results for: אלם

| | |
|---|---|
| (flowery) silence, speechlessness | אֵלֶם שֵׁם ז' |
| reverse translation | |
| mute (noun), a person who can't speak | אִלֵּם שֵׁם |
| reverse translation | |
| mute | אִלֵּם תואר |
| reverse translation | |
| (literary) to sheaf, to bind | אִלֵּם פי פיעל |
| reverse translation | |

يقرأ المشترط معاني المفردة الأولى (אֵלֶם): (silence, speechlessness) دون أن يترجمها. ثم يعود ليحدثنا عن ذكرها – الموهوم كما سبق – على لسان الملك داود عليه السلام في سفر المزامير.

**ولي مع ما قال وقفات:**

**أولاً**: تحدَّث المشترط عن آرامية الحروف المقطعة؛ لكنه لما أراد إثبات مقولته استعمل قاموس مورفيكس (Morfix Dictionary) **العبراني**. وهو كمن يستدل لصحة مفردةٍ في اللهجة المصرية مثلاً بمعجم مختص باللهجة العراقية. فأين العِلمية في هذا؟

**ثانياً**: لنفترض جدلاً أن قاموس مورفيكس آراميٌّ وليس عبرانياً، فأين معنى "صمتاً" فيما وجد المشترطُ فيه من المعاني؟

إن معنى المفردة الأولى (**אֵלֶם**) على القائمة هو: (silence, speechlessness)؛ والمشترط لم يبين لنا المقصود من الكلمتين الإنجليزيتين (silence, speechlessness)، إذ ليس المرادُ من كلمة (silence) في هذا السياق الصمتُ الطَّوعي أو الإنصات، وإنما «الوُجوم» أو «عدم القدرة على الكلام»، كما توضحه كلمة (speechlessness). وهذا المعنى تؤكده كلمة (**אִלֵּם**) التي عرضها القاموس في السطرين الثاني والثالث، حيث تعني "الأخرس" أو "الأبكم" (mute).

**ثالثاً**: أصل كلمة (**الــم**) في العبرانية والآرامية **الشَدُّ والعقد والضم**.[3] ولذا اشتُق منها في العبرانية (**אֵלִים**) (**ألِّيم**)، وفي الآرامية (**אִלָּם**) (**ألّام**)، بمعنى "الشديد" أو "القوي". ويقابلها في العربية الجذر (**وَلَــم**)[4]؛ إذ يُشتق منه (**الوَلْــم**) أي القَيد، والحبل الذي يُشَدُّ. ومنه (**الوليمة**) لما فيها من الاجتماع؛ وكذا (**الوَلــمةُ**) التي هي تمام الشيء واجتماعه.[5] وفي السبئية (𐩱𐩡𐩣) (**الــم**) بمعنى

[3] Koehler & Baumgartner. *The Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament* (Leiden: Brill, 2001), vol. I, p. 57.

[4] قد تقابل الواوُ في العربية الألفَ في العبرانية كما في (**אגד "أجد"**) و(**وَجَد**) بمعنى الشد والضم والإحكام.

[5] ابن منظور، «**لسان العرب**»، مادة (ولــم).

"الوليمة"، و(𐩱𐩡𐩣𐩩) (**ألـمة أو ألمت**) بمعنى "القُرَناء والشركاء"[٦]، وكلها معانٍ تدور – كما ترى – حول الشدّ والعقد والضم كما بينّا.

ولكن ما علاقة هذه المعاني المشتركة بين اللغات السامية (أو بالأحرى العربية القديمة) وبين معنى الخرس أو البكم؟ يبين هذا الحاخام «ماتيتياهو كلارك» في كتابه «**المعجم التأثيلي للعبرية الكتابية**»[٧] حيث يشرح معنى الخرس تحت مادة (**אלם**) بقوله (being tongue-tied; dumb) وتعني حرفياً: "معقود اللسان؛ أخرس"، فهو معنىً مرتبطٌ بالعقد أيضاً (to bind). وجاء في «**معجم جيزنيوس العبراني–الكلداني**»، الذي هو عمدةٌ عند علماء الساميات، تفسيرُ (**אלם**) بكون المرء "صامتاً أو أبكم كما لو كان معقود اللسان":

**אָלַם** a root not used in Kal.—(1) TO BIND, comp. PIEL and אֲלֻמָּה.

(2) passive, *to be bound*, sc. the tongue, i. e. *to be dumb, to be silent;* see NIPH. and the nouns אִלֵּם, אֵלֶם, אַלְמֹנִי. To be silent, dumb, as if tongue-tied (δεσμὸς τῆς γλώσσης, Mark 7:35), comp. Pers. زبان بستن to bind the tongue, for to be silent, and Gr. φιμοῦσθαι.

(3) *to be solitary, forsaken, widowed*, for a solitary person is silent as he has no companion with whom to talk; comp. بكم to be mute, to be unmarried. Hence are derived אַלְמָן, אַלְמָנָה, אַלְמֹן, אַלְמָנוּת.

NIPHAL.—(1) *to be dumb, mute*, Ps. 31:19; 39:3, 10; Isa. 53:7.

(2) *to be silent*, Eze. 33:22.

PIEL, *to bind together*, Gen. 37:7.

---

٦ بيستون وآخرون «**المعجم السبئي**»، مادة (ʾLM)، ص ٥.

7 Matityahu Clark. *Etymological Dictionary of Biblical Hebrew* (Jerusalem: Feldheim Publishers, 1999), p. 10.

وقد أكد جيزنيوس هذا المعنى بمقارنته بالكلمة العربية (**بكم**)، كما استدل لهذا المعنى بسفر إشعياء (٥٣ : ٧). وفي هذا ردٌّ على "البروفيسور" «غبريال صوما» الذي حاول أن يجد في نص إشعياء (٥٣ : ٧) القائل «**كنعجةٍ** (**נֶאֱלָמָה**) **أمام جازِّيها** ...» معنى الإنصات والصمت والسكون؛ مع أن المقصود "عجماء" "بكماء" كما هو ظاهر السياق.

فعُلم أن معنى «الخرس» إنما استعير من أصل العقد والربط؛ ولذا وُصفت كلمة (**אִלֵּם**) في قاموس مورفيكس الذي استعان به المشترط بـ"المنمَّقة" (flowery)، لأن لها معنى غيرَ المعنى الأصليِّ مُستعاراً من العقد (to bind)، وأن معنى الإنصات ليس هو المقصود في معاجم العبرانية والآرامية، وإنما الخرس والعِيّ الذي هو انعقاد اللسان عن الكلام أو البيان. وهنا أسرُد نصوص «الكتاب المقدس» التي وردت فيها كلمة (**אלם**) مجردةً من اللواحق، وفقاً لترجمة «ڤان دايك» العربية الشهيرة:

١. «**فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟**» [تكوين ٤ : ١١]

٢. «... **لِقَائِدِ الْمُنْشِدِينَ عَلَى الْحَمَامَةِ الْبَكْمَاءِ**». [مزامير ٥٦] [من ترجمة «كتاب الحياة» لغياب النص في ترجمة «ڤان دايك»]

٣. «**أَحَقًّا بِالحقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ ...؟**» [مزامير ٥٨ : ٢]

٤. «**حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ**». [إشعياء ٣٥ : ٦]

أمّا بقية المواضع فجاءت بمعنى "الرواق".

وقد استشهد «غبريال صوما» بالنص الثاني (المزمور ٥٦) ليتوصل إلى معنى الصمت والإنصات معَ بُعده، كما استشهد قبلُ بسفر إشعياء (٥٣ : ٧)، لكنهما لم يحقِّقا له ما تكلَّف. بل إن بعض معاجم الآرامية المعتبرة لا تذكر معنى الصمت أصلاً، كمعجم الآرامية البابلية لسوكولوف

(**A Dictionary of Jewish Babylonian Aramaic**)، والقاموس السرياني الذي كتبه ابن بهلول (**ܠܟܣܝܩܘܢ ܣܘܪܝܝܐ ܕܒܪ ܒܗܠܘܠ**) وصار مرجعاً للمستشرقين.

فأين معنى (صمتاً!) أو (Please!) في هذا كله؟ وأيُّ هذه المعاني أليَق بالحروف المقطعة في مطلع سورة البقرة؟ أيقال لمستمع القرآن: (**اخرَس! ذلك الكتاب لا ريب فيه**)؟ نعوذ بالله من علمٍ لا ينفع.

هذا كله إنما أوردته تنزُّلاً، لئلا يقال حاد عن جواب الدعوى. وإلا فمجرد اعتماد المشترط مرجعاً غيرَ آرامي سواء كان هذا المرجع «قاموس مورفيكس» أم «سفر المزامير» يُسقط دعواه من أولها. وإنما أطلْتُ في جواب (**الـم**) ليُعلم أن هذه المباحث اللغوية لا يحكم فيها بالظنون والأوهام، بل تتطلب تحرياً ودقة، فكيف إذا تعلقت بتفسير كتاب الله عز وجل.

- كهيعص:

تحدث «مشترط الآرامية» بعد (**الـم**) عن تفسير (**الر**) و(**طه**). لكنني سأُرجئ الحديث عنهما وأقدم الحديث عن (**كهيعص**) لارتباط الأخيرة بـ(**الـم**) في أمر سأُفصح عنه فيما بعد.

استهل المشترط حديثه بقوله: "هذي أكثر شيء مطلوب معناها." ثم أضاف بأن (**كهيعص**) في أصلها الآرامي تتألف من كلمتين (**كهـ**) و (**يعص**)، وكتبها على السبورة هكذا: (**כה יעץ**). فلما أراد إثبات قوله عاد إلى قاموسه **العبراني** يبحث فيه عن كلمة **آرامية!!!** وبالفعل، كان معنى (**כה**) جلياً في العبرانية: (*Biblical*: thus, so) أي "هكذا". ثم أضاف بأن كلمة (*Biblical*) تعني أنها مستعملةٌ في «الكتاب المقدس»، وصَدَق. ثم صنع مع (**יעץ**) (يعص) مثلما صنع مع (**כה**)، فكان المعنى جلياً أيضاً: (to advise) وتعني "وعظ" أو "أشار بـ". **فما الإشكال في هذا، إذن؟**

لن أتحدث هنا عن الجانب الشرعي بسبب ما اشترطت على نفسي منذ البدء، لكنني سأناقش ما قال المشترط من منظور لغوي صِرف.

**أولاً**: إن اللجوء إلى قاموس عبراني لإثبات آرامية القرآن مخالف لأبسط قواعد البحث العلمي المحايد، مع إقراري بأن بعض أسفار «الكتاب المقدس» (دانيال وعزرا ومواطن أخرى قليلة) دُوِّنت بالآرامية. وعليه فإني سأقبل – تنزُّلاً – استشهاد «مشترط الآرامية» بقاموسه لئلا يتشعب النقاش دون طائل، مع التنبيه على أن كلمة (כה) (**كهـ**) عندما وردت في آرامية العهد القديم – كما في قول دانيال (٧: ٢٨) (עַד־כָּה סוֹפָא דִי־מִלְּתָא) (**عَذ–كَه سوفا ذِي مِلثا**) – كان معناها "**هُنا**" وليس "**هكذا**". لكنني سأغض الطرف عن هذا كله حتى لا أُعَد مماحكاً.

**ثانياً**: يقول مشترط الآرامية إن (**كهيعص**) مؤلفة من كلمتين آراميتين هما (**كهـ | يعص**). لكن الناظر في المعاجم المختصة بدراسة «الكتاب المقدس» سيفاجأ بأمر غريب. فـ«**مُعجم جيزنيوس العبري–الكلداني**» (= الآرامي)، على سبيل المثال، ينص بالفعل على أن (**יעץ**) تعني (to advise = "وعَظ")، لكن الغرابة تكمن في تصريحه بأن الكلمة ليست آرامية وإنما عبرانية؛ وأن صورة المقابل الآرامي (الكلداني) هي (**يعَط**) بالطاء (יְעַט)، لا بالصاد كما قيل لنا!

*יָעַץ fut. יִיעַץ; for imper. is twice עֻצוּ from r. עוּץ, Judg. 19, 30. Is. 8, 10; *to consult, to advise*, i. e. both *to take* and *give counsel*. Phenic. איש יעץ מלך coun-sellor of the king, Monum. Phœn. p. 152. Chald. יְעַט id. Arab. وعظ to admon-ish, to exhort, as prophets. The native

أخذت مرجعاً معتبراً آخر هو المعجم الحُجة ( **The Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon**) لعلِّي أجد ما أسوِّغ به دعوى آرامية فواتح سورة مريم. فوجدت ما يلي:

**יָעַץ vb. advise, counsel** (only twice in Hex) (Aram. יְעַט; Ar. وَعَظَ *exhort, admonish*)— **Qal** *Pf.* 3 ms. יָעַץ Is 7⁵ + 11 t.; יָעָ֑ץ 14²⁷ + 2 t.; sf. יְעָצָ֑נִי ψ 16⁷; יְעָצָהּ Is 23⁹ + יְעָצָהוּ Baer 2 Ch 10⁸;

وجدتُ ما يُعزز أن الكلمة الآرامية تكتب بالطاء (יְעַט) لا بالصاد (**יעץ**)!

قلت لعل هذا خاصٌّ باستعمال «الكتاب المقدس»، ومددت يدِيَ إلى معجم شهير جداً لا يجهله من درس العبرانية، فهو لا يدع شاذة ولا فاذة إلا أتى عليها، كما أنه يعتني بذكر المشترك بين اللغات السامية؛ هذا المعجم هو (מִלּוֹן אֶבֶן שׁוֹשָׁן) «**مُعجم إِفِنْ شُوشان**» (عِبري–عِبري). قلَّبت صفحات هذا السفر الضخم فوجدت ما يلي:

**יעץ** [קרוב אל עוץ; ארמית: יעט; ערבית: וַעַטַ׳ הזהיר, התרה]
~ פִּע׳ יָעַץ פ״י 1, נָתַן עֵצָה, הִצִּיעַ דֶּרֶךְ אֵיךְ לִנְהֹג, הִבִּיעַ אֶת דַּעְתּוֹ כֵּיצַד לִפְעֹל בְּמִקְרֶה מְסֻיָּם: "לֹא־טוֹבָה הָעֵצָה

ومعناها: **يعص** [ذاتُ صِلةٍ بـ عوص؛ الآرامية: يعط؛ العربية: وَعَظ ...].

عجباً! إن «مشترط الآرامية» لم يُعلِمنا – أو لعله لم يَعلم – أن الآرامية تستلزم أن تكون فواتح سورة مريم (**كهيعط**) بدلاً من (**كهيعص**).

لن أعتمِر هنا عِمامة الواعظ فأتحدث عما ينبغي أو لا ينبغي في تفسير كتاب الله عز وجل، فقد اشترطت على نفسي ألا أتجاوز مهمتي اللغوية كما أنني لست من علماء الشريعة. لذا سأغمض عينَـيَّ وأقول: لعل الآرامية استعارت (**יעץ**) (يَعَص) فيما بعدُ، ولن أدقق كثيراً.

**ثالثاً**: لو سلَّمنا جدلاً بأن (**كهيعص**) ذات أصلٍ عبراني وأن «مشترط الآرامية» إنما أراد العبرانية فأخطأ التعبير، لم يكن في ذلك حجة. لأن صيغة (**يَعَص**) (**יעץ**) هي صيغة الماضي في العبرانية، فالياء أو الـ(يود) ليست ياء مُضارَعة وإنما هي من أصل الكلمة، حالُها حال الواو في (**وعظ**). فيكون معنى العبارة (**هكذا وَعَظ**) لا كما ظن المشترط (**هكذا يَعِظ**).

**رابعاً**: ما المعنى الذي يُستفاد من قولنا: (**هكذا وعظ** ۞ **ذِكرُ رحمةِ ربك عبده زكريا**)؟ وهل (**ذِكر**) هنا فاعلٌ للفعل (**وعظ**)، أم خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره (**هكذا وعظ** ۞ [**هذا**] **ذِكر رحمة ربك**)؟ أليس قيل لنا: **إن الحروف المقطعة "تحمل معانٍ آراميةً واضحة جداً"**؟ فلا هي آرامية ولا هي واضحة!

**أخيراً**: أقول لمشترط الآرامية: حدثْتَنا عن "صواعق"، وآن لك أن تتعرف على الصاعقة الحقيقية التي لا أظنك تقبلها بحال؛ **"صدمة! بس تحمل!"**

كتب الحاخام اليهودي «جوزيف مان» دراسة في مجلة (The Jewish Quarterly Review) بعنوان "مصنَفٌ حِجَاجيٌّ ضد القرَّائين وطوائف أخرى".[8] نشر الحاخام في هذه الدراسة نصاً عبرانياً كان من بين النصوص التي اكتُشفت في «جنيزة القاهرة» يعود إلى كاتب يهودي مجهولٍ عاش في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي. ينعي فيه الكاتب تخاذل اليهود عن أداء رسالتهم، وتأثرهم بمن حولهم من النصارى والمسلمين، وأنهم لم يقتدوا بـ"الأحبار اليهود العشرة" الذين كانوا من أصحاب محمد (ﷺ) لكنهم نصروا مِلة يهود؛ ولذا يُعرف النص باسم «**قصة أصحاب محمد**» ﷺ. وهاك ما يعنينا من النص بالعبرانية ثم ترجمته بالعربية.

וכאשר עשו הבאים אֹ
אחריהם עם הרועה צאן בַּמקום הידוע
בהר חדש[59] והיה מעשהו עם הנזיר אשר היִה
במקום הנקרא בלקין[60] על העמוד הנִודע אות
השמש עם[61] העשרה הזקנים אברהם הנקרא כעב
אל אחבאר ואבשלום הנקרא עבד אללה בן סלאם
ויעקב הנקֹ עמר אלשהיד ויוחנן הנקרא אל מנהזם
אלי אל גנה וחביריהם אישי[62] בשמו וכינויו אשר
באו אליו ועשו לו או[ת] הקלון[63] וכתבו והרכיבו
שמותם כל אחד ואחד וכן כתוב בחֳףּ נץֿ
הַפָּרָה[64] ככה יעצו חכמי יש׳ לאלם הרשע
וכל זאת כי היתה סבה לבעבור להציל עם
יי למען לא יזיקם בעלילותיו

---

[8] Joseph Mann, “A Polemical Work against Karaite and Other Sectaries”, *The Jewish Quarterly Review*, New Series, Vol. 12, No. 2 (University of Pennsylvania Press, Oct., 1921), pp. 123-150.

"... وكما صَنع الذين جاءوا من بعدهم مع راعي الغنم[9] في الموضع المعروف بالجبل الحديث.[10] وكان شأنه مع الراهب الذي كان في الموضع الذي يقال له «بلقين»[11] على العمود الذي يعرف بعلامة الشمس؛ [و]مع الأحبار العشرة: **أبراهام** الذي يقال له «كعب الأحبار»؛ **وأبشالوم** الذي يقال له «عبد الله بن سلام»؛ **ويعقوب** الذي يقال له «عُمر الشهيد»؛ **ويوحَنَّان** الذي يقال له «المنهزم إلى الجنة»؛ وأصحابهم كلٍّ باسمه وكُنيته، [أولئك] الذين جاءوا إليه وعمِلوا له آية «القالون» (**הקלון**)، وكتبوا وركَّبوا أسماءهم واحداً واحداً، وهكذا مكتوبٌ بـــ **חף גץ**[12] البقرة (**ככה יעצו חכמי יש לאלם הרשע**). وكان كل هذا حتى يكون سبباً لخلاص شعب الرب، كيلا يؤذيَهم ببهتانه."

حاشاه – بأبي هو وأمي – وكذبت يهود.

هذه هي القصة التي افتراها هؤلاء البُهت على النبي ﷺ وصاحبه عبد الله بن سلام رضي الله عنه. وقد جاء في كتاب «**إفحام اليهود**» للحكيم السَّمَوْأل المغربي – وكان من كبار أحبار اليهود قبل إسلامه – ما يشير إلى مثل ما ورد في هذه القصة المفتراة. فقد ذكر المغربيُّ تحت «فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام» ما يلي:

> «هم يزعُمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرَّف وعظَّم وكرَّم كان قد رأى أحلاما تدل على كونه صاحب دولة، وأنه سافر إلى الشام في تجارة لخديجة رضوان الله عليها، واجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه فعلموا أنه

---

[9] **راعي الغنم**: يعني به صفوة الخلق محمد ﷺ.

[10] **الجبل الحديث**: لعل المقصود منه «جبل النور».

[11] **بلقين**: هي البلقاء بأرض الشام.

[12] لم أفهم ما ترمز إليه هاتان الكلمتان. وركاكة الأسلوب عائدة إلى ركاكة الأصل.

صاحب دولة، فأَصحبُوه[١٣] «عبدَ الله بن سلام»، فقرأ عليه علومَ التوراة وفِقهَها مُدةً. زعموا وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام.»[١٤]

ثم فسر السموأل كلمة خطيرة وردت في النص العبراني أعلاه هي كلمة «القالون» (**הקלון**)"، فقال: "وأما القرآن العظيم فإنهم يسمونه فيما بينهم «قالون»، وهو اسمٌ للسَّوءة بلسانهم، يعنون بذلك أنه عورة المسلمين."

لكننا لم نفسر بعدُ ما أخفاه الكاتب في الكلمات التي آثرتُ أن أبقيها بحروفها العبرانية. يقول الكاتب اليهودي إن اليهود بعد أن لفقوا القالون (يعني به «القرآن العظيم») دَسُّوا أسماءهم فيه، وجعلوا شاهد ذلك في العبارة التالية: (**ככה יעצו חכמי יש לאלם הרשע**)، وإليك تفصيلها:

| النص | ככה | יעצו | חכמי | יש | לאלם | הרשע |
|---|---|---|---|---|---|---|
| القراءة | ككهـ | يعصو | حخمي | يس | لـالـم | هرشع |
| المعنى | هكذا | وعظَ | حاخاماتُ | إسرائيلَ | الأبكَمَ | الأثيمَ |
| الرمز | كهـ | يعص | حم | يس | الـم | – |

**فهل ذكَّركَ هذا بشيء؟** أشير هنا إلى أن حرفي (**יש**) هما اختصار لكلمة (**יִשְׂרָאֵל**) أي "إسرائيل" كما صرحت به بعض النسخ. وأما (**הרשע**) (**هَرَشَع**) فلا أدري إن كانت ترمز إلى فواتحِ سورةٍ ما، أم أنها على ظاهرها. كما أن في النص بياناً لأمرين مهمين. أولهما: أن الفعل (**יעץ**) (**يَعَص**)

[١٣] أي جعلوه صاحباً له.

[١٤] السموأل المغربي، **إفحام اليهود** (بيروت: دار الجيل، ١٤١٠ هـ) ت. د. الشرقاوي، ص ١٤٦، ١٥٧.

جاء هنا بصيغة الماضي وهو ما يؤيد ما أسلفنا من أن معناه (وعظ) وليس (يعِظ). **والآخر**: أن كلمة (**אלם**) (**الـم**) إنما يراد منها الأبكمُ العَيِيُّ على ما سبق بيانه، وليس فيها معنى السكوت والإنصات.

هنا يستبين لطالبِ الحقِّ أصلُ ما شاع بين الناس من تفسير (**الـم**) و (**كهيعص**) ونحوهما اعتماداً على اللغة الآرامية (أو العبرانية في الحقيقة)، وأن ذلك من أكاذيب اليهود وافتراءاتهم منذ القرن الخامس أو السادس الهجري؛ فلا ثَمّة "اكتشاف" ولا "فَتحٌ" ولا عِلمٌ لم يعلمه سلف الأمة، وإنما قولٌ على الله وعلى كتابه بغير عِلم.

- **الر**:

بقي من جملة الحروف المقطعة التي فسرها مشترط الآرامية (**الر**) و (**طه**).

**قال المشترط**: إن (**الر**) أو (**אלר**) تتألف من مقطعين: (**ا | لر**) (**אלר**). فأما الألف (**א**) لوحدها فتعني (strong, mighty, powerful) أي "قوي" أو "عزيز". وأما (**לר**) – التي ذكر بأن نطقها الحقيقي هو (لير) – فتعني "تأمَّل!" أو "تبصَّر!".

**قلت**: قوله إن الألِف (א) لوحدها تعني (strong, mighty, powerful) أي "قوي" أو "عزيز" لم أجد له أثراً في المعاجم المعتبرة، ولا أدري من أي المصادر اقتبس هذا المعنى، إلا إذا كان المراد معنى كلمة (أَلِف) في الكنعانية القديمة، وهو «الثور»، وأنه كُنِّي بها عن القوة. لكن هذا بعيد، وهو مجرد تخريج مني لقولِ المشترط.

وأما قوله: إن (לֹר) تلفظ (لير) وأنها تعني "تأمَّل!" أو "تبصَّر!"، فأدَعُ للمشترط إثباته، لأني قلَّبت حروف (אלר) ظهراً لبطنٍ على اختلاف ما أمكنني من تصريفها (لر، الر، لار، لور، لير، ... إلخ) فلم أهتدِ إليها قطُّ فيما بين يدي من معاجم الآرامية والعبرانية.

وكنت أظن أن المشترط إنما أراد (לראות) (لِرْأُوت) (= لِرُؤية)؛ وهي مصدر الفعل (ראה) (رأهـ) مسبوقاً باللام، ويقابله في العربية الفعلُ (رَأَى)، وقد يؤدي معنى النظر والتأمل وفقاً لقاموس مورفيكس الذي يرجع إليه. ولا دليل فيه البتة، فإن اللام ليست من أصل الكلمة.

لكنني قرأت له مؤخراً كلاماً يشير فيه إلى مصدر (**لير**) وأنها "دارِجةٌ بين سُرْيان ريف دمشق أنها (تأمَّل)"، وبما أنها دارجة فلن تجدها – كما يعتذر – في معاجم السُّريانية لأنها أشبه بعبارة (wanna) العامية الإنجليزية. لكن هذا غير صحيح، فكلمة (wanna) الإنجليزية لا يكاد يخلو منها معجم إنجليزي معتبر.

أرأيت كيف عَدَلَ المشترط إلى تفسير القرآن بعاميةٍ مبتذلةٍ بعد أن زعم اعتمادَ القرآنِ على الآرامية القديمة؟ فهل عجز الله – تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً – أن يبيِّن مراده إلا بالدارجة السُّريانية؟ وهل هذا هو القرآن الذي قال الله عنه (**لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**)؟ وهل يقبل أحدنا أن يقال له إن الكلمة العامية (شُوف!) مثلاً وردت في سورة كذا وكذا؟ نعوذ بالله من ذلك.

- طه:

بقي أن أختم ببيان ما قيل في تفسير (**طه**). فهذا المشترط يكتبها بالحرف المربع هكذا (טה)، ثم يقول بأنها كلمتان. أما (ט) (**ط**) فتعني الطين، وهو – كما يقول – استعمال قديم في الثقافات

السريانية والآرامية والعبرية. وأما (ה) (هـ) فهي ذات صلةٍ بالكلمة الإنجليزية (Hey!)، أي أنها حرف نداء.

**قلت: لي مع هذا وقفات.**

**أولا:** (**ط**) لا تعني (الطين) في الآرامية بحال من الأحوال، ولم يرد هذا المعنى في المعاجم المختصة بالاستعمالات القديمة أو الحديثة، وإثبات ذلك دونه خَرط القَتاد، وهو ما سأبينه بعد قليل.

**ثانياً:** لا يليق أن يقال إن (**هـ**) في (**طه**) ذات صلةٍ بالكلمة الإنجليزية (Hey!) فهذه الأخيرة عامية مبتذلة لا يستعملها للنداء إلا رعاع الأعاجم.

**ثالثاً:** (הָ) التي أصلُها (הָא) (**ها**) لا تستعمل في الآرامية للنداء وإنما للتنبيه، وتكون في أول الجملة لا آخرها. ويقابلها في الإنجليزية (Lo!) أو (Behold!) لا (Hey!). أما في العربية فيقابلها (ها) كما في قول الله تبارك وتعالى: (**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ**)؛ وقول الأول:

**فَها أَنا تائِبٌ مِن حُبِّ لَيْلى فَما لَكَ كُلَّما ذُكِرَتْ تَذوبُ**

**رابعاً:** إنما انتقل معنى (الطين) إلى حرف (ט) (**ط**) في العبرانية نتيجة تلاعب الباطنيين اليهود باسم هذا الحرف في الأبجدية العبرانية. فاسمه الصحيح في العبرانية (**טית**) أي (طيث) بالثاء، لكن الباطنيين القبَّاليين الذين يحاولون إيجاد أسرار موهومة في أحرف العبرانية يَعدِلون عن ذلك إلى قراءته بالطاء هكذا (**טיט**) (طِيط) وتعني الطين أو الحَمَأ. لكن أحداً ممن يجيد العبرانية أو الآرامية لا يخالف

في أن بين الكلمتين بُعدَ المشرقين في المعنى، فالأولى تعني (**طين**) والثانية مجرد **حرف**، أو أنها (**دُولاب**) في الكنعانية القديمة.

وعليه فإن كان قصد المشترط أن صوت الحرف (טְ) (**طَا**) العبراني أو الآرامي يعني (**طين**) فقد أبعد النُجعة وأغرق في النزع، فهذا غلط محض؛ فكلمة (طين) تُقرأ (**طِيط**) لا (**طَا**) كما بينت. وإن قصد أن الحرف (**ط**) مجرد رمز لكلمة (**طين**) فقد خالف مبدأه الذي هو عدم زيادة أحرف على الذي بين يديه، كما قال عن (**إمر لـي مريو**). وإن قال إن (**ط**) هو حرف (**טית**) (**طيث**) في العبرانية والآرامية سواءً بسواءٍ، لزمه أن يقرأ الآية هكذا (**طيث – ها**) بدلاً من (**طا – ها**). وأما القول بأن حرف (**טית**) (**طيث**) يساوي كلمة (**טיט**) (**طِيط**)، فهو تحريف وتخريف.

أما ما نُسب إلى ابن عباس ﵄ فقد ضعفه جمعٌ من أهل العلم وليس هذا موضعه.

**خِتاماً أقول**، كنت قد عقدت العزم على مناقشة كل ما ذكر المشترط من أمثلة (أحد، صمد، جهنم، إلخ)، لكنني رأيت أن أقتصر على الحروف المقطعة، طمعاً في أن يكون في ذلك غُنية عن ذكر الباقي. فإن دعا الأمر في قابل الأيام إلى إتمام ما بدأتُ أتممته في حينه إن شاء الله.

أسأل الله أن يغفر لي ولأخي، وأن يجعل ما قلتُه زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يُمْن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.


كتبه

**فيصل بن علي الكاملي**

«مركز الفكر الغربي»


١٤/ ١/ ١٤٣٧ هـ